

أضواء البيان

@ 73 @ بقدر ، أي بمقدار معلوم عنده جل وعلا ، وهو جل وعلا أعلم بالحكمة والمصلحة في مقدار كل ما ينزله . وقد أوضح هذا في غير هذا الموضع ، كقوله تعالى : { وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ } وقوله تعالى : { وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ } إلى غير ذلك من الآيات .

7 ! 7 ! قوله تعالى : { وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ } . قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النور في الكلام على قوله تعالى : { لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ } . قوله تعالى : { وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبِحَارِ كَالَالَةِ } . قوله : ومن آياته أي من علاماته الدالة على قدرته واستحقاقه للعبادة وحده ، الجواري وهي السفن واحدها جارية ، ومنه قوله تعالى : { إِنْ زَلَّ السَّفِينُ لَمْ يَلْمَ أَهْلُهَا وَلَمْ يَلْمَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَرْصَادَهَا وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ } يعني سفينة نوح ، وسميت جارية لأنها تجري في البحر .

وقوله { كَالَالَةِ } أي كالجبال ، شبه السفن بالجبال لعظمها .

وعن مجاهد أن الأعلام القصور ، وعن الخليل : أن كل مرتفع تسميه العرب علماً ، وجمع العلم أعلام .

وهذا الذي ذكره الخليل معروف في اللغة ، ومنه قول الخنساء ترثي أخاها صخرًا : وهذا الذي ذكره الخليل معروف في اللغة ، ومنه قول الخنساء ترثي أخاها صخرًا : % (وإن صخرًا لتأتم الهداة به % كأنه علم في رأسه نار) % .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن جريان السفن في البحر ، من آياته تعالى الدالة على كمال قدرته ، جاء موضحاً في غير هذا الموضع ، كقوله تعالى { وَآيَاتِهِ لََّهُمْ أَنْزَلْنَا حَمَلًا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ وَإِنْ نَسَأْ نُفُورُهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ } { فَأَنْزَلْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهُنَّ آيَةً لِلْعَالَمِينَ } وقوله تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِثَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلِ الْكَلَامَ الَّذِي تَجْرِي فِي الْبِحَارِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ } إلى قوله : { آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } . وقوله تعالى في سورة النحل : { وَتَرَى الْفُلَ مَوْآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ } . وقوله في فاطر : { وَتَرَى

